

بدر شاكر السياب

شِناشِيل ابنة الحلي

منشورات دار الطليعة - بيروت

مكتبة
الادب
الساخن
الحي



بدر شاكر السياب

شِناشِيلُ ابْنَةِ الْحَلَبِيِّ

مَنْشُورَاتُ دَارِ الْقَلْبِ لَيْعَةَ - بَيْفُوت

شنا شیل اینتہ الحابی

الطبعة الأولى
كانون الثاني ، ١٩٦٥

سِينَا سِيلَ إِبْنَةِ الْحَمِيلِ

وأذكرُ من شتاء القريةِ النَّضَّاحِ فيه النُّورُ
من خَلَلِ السَّحَابِ كأنَّه النَّعْمُ
تسرَّبَ من ثُقُوبِ المعزفِ - ارتعشتُ له الظُّلُمُ
وقد غنَّى - صباحاً قُبْلَ ... فيم أَعْدُ؟ طفلاً كُنْتُ أُبْتَسِمُ
لِلْيَلِي أَوْ نَهَارِي أَثْقَلْتُ أَغْصَانَهُ النُّشُوى عِيونُ الحُورِ .
وكنَّا - جدًّا الهدَّارِ يضحكُ أَوْ يَغْنِي في ظلالِ الجَوْسِقِ القَصَبِ
وفلاحيه ينتظرون : « غَيْشَكَ يَا إِلَهَ » وإِخْوَتِي فِي غَابَةِ اللَّعِيبِ
يصيدون الأرانِبَ والفَرَاشَ ، و(أحمدَ) النَّاطُورِ -
نَحْدُقُ فِي ظلالِ الجَوْسِقِ السَّمَرَاءِ فِي النَّهْرِ
ونرفعُ لِلسَّحَابِ عِيونَنَا : سِيسِيلَ بِالقَطْرِ .
وأرعدتِ السَّمَاءُ فَرَنَ قَاعِ النَّهْرِ وارتعشتُ ذُرَى السَّعْفِ
وأشعلهنَّ وَمُضُّ البُرْقِ أَزْرَقَ ثُمَّ أَخْضَرَ ثُمَّ تَنْطَفِئُ

وَنَشَحَّتِ السَّمَاءُ لَغَيْثِهَا الْمَدَارَ بَاباً بَعْدَ بَابٍ

عاد منه النهر يضحك وهو ممتلىء

تَكَلَّلَهُ الْفَقَائِعُ ، عاد أخضر ، عاد أسمر ، غصَّ بِالْأَنْغَامِ وَاللَّهْفِ .

وَتَحْتَ النَّخْلِ حَيْثُ تَظَلُّ تَمْطِيرُ كُلَّ مَا سَعَفَهُ

تَرَاقَصَتِ الْفَقَائِعُ وَهِيَ تُفَجِّرُ - إِنَّهُ الرُّطْبُ

تَسَاقَطَ فِي يَدِ الْعِذْرَاءِ (٢) وَهِيَ تَهْزُ فِي لَهْفِهِ

بِجَذْعِ النَّخْلَةِ الْفُرْعَاءِ (تَاجُ وَلِيدِكِ الْأَنْوَارُ لَا الذَّهَبُ ،

سَيَصْلُبُ مِنْهُ حُبُّ الْآخَرِينَ ، سَيَبْرِيءُ الْأَعْمَى

وَيَبْعَثُ مَنْ قَرَّارَ الْقَبْرِ مَيِّتاً هَذِهِ التَّعَبُ

مَنْ السَّفَرِ الطَّوِيلِ إِلَى ظِلَامِ الْمَوْتِ ، يَكْسُو عَظْمَهُ اللَّحْمُ

وَيُوقِدُ قَلْبَهُ الثَّلْجِي فَهُوَ بِجَبِّهِ يَشُبُّ !) .

* * *

وأُبرقتِ السماءُ ... فلاح ، حيثَ تعرجُ النَّهْرُ ،
وطاف معلقاً من دون أسِّ يلثمُ الماءُ
شناشيلُ ابنةِ الجلبيِّ نورَ حوله الزَّهرُ
(عقودُ ندىٍّ من اللَّبْلَابِ تسطعُ منه بيضاء)
وآسيةُ الجميلة كحلَّ الأحداقَ منها الوجد والسَّهرُ .

* * *

يا مطراً يا جلبي
عبر بنات الجلبي
يا مطراً يا شاشا
عبر بنات الباشا^(٣)
يا مطراً من ذهبٍ .

* * *

تقطّعتِ الدروب ؛ مقص هذا الهاطل المدرار
قطّعها وواراها ،
وطوّقتِ المعابرُ من جذوع النَّخلِ في الأمطارِ
كفرقى من سفينةِ سندبادَ ، كقصّةِ خضراء أرجأها وخلاها
الى الغديرِ (أحمدُ) الناطورُ وهو يديرُ في الغُرْفِ
كؤوسَ الشاي ، يلمس بندقيّته ويسعل ثم يعبر طرفه الشرّفه
ويخترق الظلام .

وصاح « يا جدّي » أخي الشرُّثارُ
« أنمكت في ظلام الجوسق المبتلُ نتنظرُ ؟
متى يتوقّفُ المطرُ ؟ »



وأرعدتِ السماء ، فطار منها ثمة انفجرا
شناشيلُ ابنةِ الجلي

ثمّ تلوح في الأفق
ذرى قوس السحاب وحيث كان يسارق النظرا
شناشيلُ الجميلة لا تصيب العين إلا حمرة الشفق

* *

*

ثلاثون انتقضت ، وكبرتُ كم حبٍ وكم وجدٍ
توهج في فؤادي !
غير أنني كلما صفقت يدا الرعدِ
مددتُ الطرف أرقبُ ربّما اثتلُق الشناشيلُ
فأبصرتُ ابنةَ الجلي مقبلةً الى وعدي !

ولم أرها . هواءٌ كلُّ أشواقِي ، أباطيلِ !
ونبتُ دونما ثمرٍ ولا وَرْد !

لندن ٢٤ - ٢ - ١٩٦٣

-
- ١ - الشناشيل : شرفة مغلقة، مزينة بكثير من الخشب المزخرف والزجاج الملون، كان شائعاً في البصرة وبغداد قبل مائة سنة. والجلبي لقب هو عند المصريين «شلي» وعند الأوربيين «ماركيز».
- ٢ - « وهزي اليك يحدع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً » (سورة مريم - القرآن الكريم)
- ٣ -- هكذا يغني الأطفال في قرى البصرة حين تمطر السماء : « مطر ، مطر ، حليبي . عبر بنات الجلبي » النخ ..

أرم فرسخ السماء

عند المسلمين أن « شداد ابن عاد » بنى جنة
لينافس بها جنة الله ، هو « أرم » . وحين أهلك
الله قوم عاد ، اختفت « أرم » وظلت تطير ،
وهي مستورة ، في الأرض لا يراها إنسان الا مرة
في كل أربعين عاماً . وسعيد من انفتح له بابها .

من خَلَلَ الدُّخَانُ من سيكاره ،
من خَلَلَ الدُّخَانُ
من قَدَحِ الشَّاي وقد نَشَّرَ ، وهو يلتوي ، إزارَه
ليحجبَ الزمانَ والمكان ،
حدثنا جدُّ أبي فقال : « يا صغارُ ،
مقامراً كنتُ مع الزمان ؛
نقودي الأسماك ، لا الفضة والنضار ،

والورقُ الشَّبَّاكُ والوَهَّارُ^(١) .
وكنْتُ ذاتُ ليلِهِ
كانما السَّماءُ فيها صَدَأٌ وقارُ ،
أصيدُ في الرَّميلِ
في خورها العميقُ ، أسمعُ الحارُ
موسوساً كأنما يبوح للحصى وللقِفارِ
بموطنِ الملوؤةِ الفريدهُ ،
فأرهفُ السَّمْعَ لعلِّي أسمعُ الحوارِ .
وكان من ندى الخريفِ في الدجى بروده
تدبُّ منها رِيشةٌ في جسدي فأسحبُ الدُّثارَ .
وانفرجَ الغيمُ فلاحَتْ نَجْمَةٌ وحيدَه

١ — الوهَّار : أداة لصيد السمك تصنع من أغصان الشجر .

ذكرتُ منها نجمتي البعيدة
تنام فوق سطحها وتسمع الجرار
تنضح (يا وقع حوافرٍ على الدروب
في عالم النعاس؛ ذاك عنترٍ يحوب
دجى الصحارى . إن حيَّ عبلة المزار) .
فسرتُ والسَّماءَ وجهتي ، ولا دليل ،
أرُقب نجمها الوحيد ، والشعاعُ
يخفتُ أو يؤج مانعاً ومانحاً ، وكالشراع
ترفع أو تحطه الرياحُ في الصّراع .
أسرتُ ألفَ خطوةٍ ؟ أسرتُ ألفَ ميل ؟
لم أدرك إلا أنني أُمالي السّحرُ
إلى جدار قلعةٍ بيضاء من حجر ،

كأنما الأَقَارُ منذ ألفِ ألفِ عامٍ
كانت له الطَّلَاءُ ،
كأنما النجومُ في المساءِ
سلنَ عليه ثم فاض حوله الظَّلَامُ .
وسرت حول سورها الطويلِ
أعدُّ بالخطى مداه (مثلَ سندُبادِ)
يسيرُ حول بيضة الرُّخِّ ولا يكاد
يعود حيث ابتدأ آ
حتى تغيب الشمس ، غشى نورها سواد ،
حتى إذا ما رفع الطرفَ رأى ... وما رأى؟
حتى بلغت في الجدار موضعَ العِبادِ
تقوم فيه ، كالدجى ، بوابة رهيبة

غَلَفَهَا الْحَدِيدُ ، مَدَّ حَوْلَهَا نَحْبِيه
أَرَاهُ بِالْعَيُونِ لَا تُحْسَهُ الْمَسَامِعُ .
وَقَفْتُ عَنْدهَا أَدَقُ .
يَا صَدَىَّ أَرَا جَعُ

أَنْتِ مِنَ الْمَقَابِرِ الْغَرِيبَةِ ؟
أُحْسُ فِي الصَّدَى
بِرُودَةِ الرَّدَى ،
أَشْمُ فِيهِ عَفْنََ الزَّمَانِ وَالْعَوَالِمِ الْعَجِيبَةِ
مَنْ أَرَمَ وَعَادَ .
وَحِينَ كُلِّ سَاعِدِي
وَمَلَّنِي الْوُقُوفُ فِي الظَّلَامِ
(كُنَاسِكِ ، كَعَابِدِ

يرفضهُ الإلهُ في معبده ، يظلُّ لا ينام
ولا يريدُ الماءَ والطعامَ ،
يصيحُ : « كن على الهوى مساعدي
يا رافعَ السَّماءِ ، يا موزِعَ الغمامِ » .
جلستُ عند بابها كسائلٍ ذليلٍ
جلستُ أسمعُ الصدى ، كأنه العويلُ ،
يلهثُ خلفَ حائطٍ من حَجَرٍ ثَقِيلٍ .
كأنَّ بين دَقَّةٍ ودَقَّةٍ يمرُّ ألفُ عامٍ
وما أجابَ العَدَمُ الخواءُ .
وحين أوشكُ الصِّباحُ يهمسُ الضياءُ
نعستُ ، نمتُ ... واستفقتُ : مرَّ ألفُ جيلٍ !!
الشمسُ والفلاهِ

والغيمُ والسَّماءُ
وكلُّ ما أراه
هناك حيث كان سورُها ، المياه
تَشعُّ في الخَلِيجِ .
وقال جدُّنا ولجَّ في النَّشِيجِ :
« ولن أراها بعد ، إنَّ عمريَ انقضى
وليس يرجع الزَّمانُ ما مضى .
سوف أراها فيكم ، فأنتم الأريجُ
بعد ذبول زهرتي . فإن رأى أرمُ
واحدُكم فليطرقِ البابَ ولا ينم .
أرمُ ...
في خاطري من ذكرها أَلَمْ ،

حُلمُ صباي ضاعَ ... آهِ ضاع حين تمَّ
وعمرِي انتقضى " .

لندن ٢١ -- ٢ -- ٦٣



في الليل

الغُرْفَةُ مُوصَدَّةُ الْبَابِ
وَالصَّمْتُ عُمِيقُ
وَسَتَائِرُ شَبَّابِي مَرْخَاةٌ .

رَبِّ طَرِيقِ

يَتَنَصَّتُ لِي ، يَتَرَصَّدُنِي خَلْفَ الشَّبَّابِ . وَأَثْوَابِي
كَفَزَعِ بَسْتَانٍ ، سَوْدُ
أَعْطَاهَا الْبَابُ الْمَرْصُودُ
نَفْسًا ، ذَرَّ بِهَا حَسًّا ، فَتَكَادُ تَفِيقُ
مَنْ ذَاكَ الْمَوْتَ ، وَتَهْمِسُ بِي ، وَالصَّمْتُ عُمِيقُ ، :
« لَمْ يَبْقَ صَدِيقُ

لِيَزُورَكَ فِي اللَّيْلِ الْكَابِي
وَالْغُرْفَةُ مُوصَدَّةُ الْبَابِ . »

ولبستُ ثيابي في الوهم
وسريتُ : ستلقاني أمي
في تلك المقبرة الشكلي ،
ستقول : « أتقتحمُ اللَّيلا

من دون رفيق ؟
جوعانُ ؟ أأأكلُ من زادي :
خروبِ المقبرة الصادي ؟
والماءُ ستنهله نهلا
من صدر الأرض .

ألا ترمي
أثوابك ؟ والبسُ من كَفَني ،
لم يبيلَ على مرِّ الزَّمنِ ؛

عز ريلُ الحائِكُ ، إذْ يبلى ،
يرفوه . تعالِ وَنَمْ عِنْدِي :
أَعَدَدْتُ فِرَاشًا فِي لَحْدِي
لَكَ يَا أَعْلَى مِنْ أَشْوَاقِي
لِلشَّمْسِ ، لِأَمْوَاجِ النَّهْرِ
كَسَلَى تَجْرِي ،
لَهْطَاتِ الدَّيْكِ إِذَا دَوَّى فِي الْآفَاقِ
فِي يَوْمِ الْحُشْرِ .
سَأَخْذُ دَرْبِي فِي الْوَهْمِ
وَأُسِيرُ فِتْلَقَانِي أُمِّي .

لندن ٢٧ - ٢ - ١٩٦٣

في انتظار ريسالته

وذكرتها ، فبكيتُ من ألمي :
كلما يصعدُ من قرار الأرض ، نزَّ إلى العيون دمي
وتحرقت قطراته المتلاحقات لتستحيلَ الى دموع
يخنقنني فأصكُ أسناني ، لتتقذفَ الضلوع
موجاً تحطّم فوقهنَّ وذابَ في العدم .

دخانٌ من القلب يصعدُ
ضبابٌ من الروح يصعد
دخان ... ضباب
وأنتِ انخفافٌ وراء البحار ، وأنتِ انتحاب
ونوحٌ من القلب كالمدِّ يصعد
ودمعٌ تجمد

وغصت به الآه في الخنجره .
ذكرتلك يا كلَّ رُوحِي ويادفء قلبي اذ الليل يبرد .
ويا روضةً تحت ضوء النجوم بقداحها مزهره .

وذكرتُ كلَّ تناييف بها ويسبح في مداها
قمرٌ تحير كالفراشة ، والنجوم على النجوم
دندن كالأجراس فيها ، كالزنابق إذ تعوم
على المياه ... وفضض القمر المياه .
وكان جسمك زورق الحب الحمل بالطيوب
والدفء ، والمجداف همس في المياه يرت آها
فأها والنعاس يسيل منك على الجنوب
فينام فيه النخل تلتمع السطوح بنومهن الى الصباح .

أولاً ، ما أحلاك ! نام النورُ فيكَ ومنتَ فيه ،
واللَّيْلُ ماءً ، والنباحُ
مثل الحصى ينداح فيه ، وأنتِ أولُ وارديه .

هو الصَّيْفُ يلثمُ شطَّ العراقِ
بغيماته ذاب فيها القَمَرُ ،
وتوشيكُ تسبحُ بيضُ النجومِ لولا برودةُ ماءِ النَّهْرِ
وهفَّ شراعُ الأضلاعِ في الهواءِ اصطفاقُ ،
وغنى مغنٍ وراء النّخيلِ
يغمغمُ : « يا ليلُ ، طال السَّهرُ
وطال الفراق ! »
كانَ جميعَ قلوبِ العراقِ

تُنَادِي ، تَرِيدُ أَنْهَمَارَ الْمَطَرِ .

وَصَعِدَتْ نُحُوكِ وَالنُّعَاسُ رِيَّاحٌ فَاتَرَاتُ تُحْمَلُ الْوَرَقَا
تَمَسَّ شَعْرُكَ وَالنَّهْودَ بِهِ ، تَمُوتُ

حِينَأُوتَلْهَثُ فِي النُّوَافِذِ مِنْ بِيُوتِ
نَفَاكِ فِي غُرْفَاتِهَا ، وَأَشَدُّ جِسْمِكَ فَارًا وَاحْتِرَقًا .

إِنِّي أُرِيدُكَ ، أَشْتَهِيكَ أَمْسُ ثَغْرُكَ فِي رِسَالِهِ
طَالَ انْتِظَارِي وَهِيَ لَا تَأْتِي ، وَتَحْتَرِقُ الزُّوَارِقُ وَالتَّخُوتُ
فِي ضِفَّةِ الْعِشَارِ تَنْفُضُ ، وَهِيَ لَاهُتَةٌ ، ظِلَالُهُ

عَلَّ الرِّيَّاحَ حَمَلْنَ مِنْكَ لَهَا رِسَالَهُ .

لَمْ تَبْخَلِينَ عَلَيَّ بِالْوَرَقَاتِ ، بِالْحَبِيرِ الْقَلِيلِ وَسَحْبَةِ الْقَلَمِ الصَّمُوتِ ؟

إِنِّي أَذُوبُ هَوًى ، أَمُوتُ

وَأُحْنُ مِنْكَ إِلَى رِسَالِهِ .

لندن ٩ - ٣ - ١٩٦٣

البابُ تَقَرُّعُهُ الرِّيحُ

البابُ ما قرعته غيرُ الرِّيحِ في اللَّيْلِ العميقِ ،
البابُ ما قرعته كفك .

أَيْنَ كَفُّكَ والطَّرِيقُ
نا ؟ - بحارُ بَيْنِنَا ، مَدُنٌ ، صحارى من ظلامٍ .
الرياح تحملُ لي صدى القُبُلَاتِ منها كالْحَرِيقِ
من نُخْلَةٍ يَعدُو إلى أُخْرَى وَيُزْهَرُ في الغمامِ .

* *

*

البابُ ما قرعته غيرُ الرِّيحِ ...
آه لعلَّ رُوحاً في الرِّيحِ .
هامت تَمَرٌ على المِرافِيءِ أو مَحَطَّاتِ القِطَارِ
لِتُسَائِلَ الغُربَاءِ عَنِّي ، عن غَرِيبٍ أَمْسَ راح

نِشِي عَلَى قَدَمِينَ ، وَهُوَ الْيَوْمُ يَزْحَفُ فِي انْكَسَار .
هِيَ رُوحُ أُمِّي هَزَّهَا الْحُبُّ الْعَمِيقُ ،
حُبُّ الْأُمُومَةِ فَهِيَ تَبْكِي :

« آه يَا وَلَدِي الْبَعِيدَ عَنِ الدِّيَارِ !

وَيَلَاهُ ! كَيْفَ تَعُودُ وَحْدَكَ ، لَا دَلِيلَ وَلَا رَفِيقَ ؟ »

أُمَّاهُ .. لَيْتَكَ لَمْ تَغِيْبِي خَلْفَ سُورٍ مِنْ حِجَارٍ

لَا بَابَ فِيهِ لَكِي أَدَقُّ وَلَا نَوَافِذَ فِي الْجِدَارِ !

كَيْفَ انْطَلَقْتُ عَلَى طَرِيقٍ لَا يَعُودُ السَّائِرُونَ

مِنْ ظِلْمَةٍ صَفْرَاءَ فِيهِ كَأَنَّهَا غَسَقُ الْبَحَارِ ؟

كَيْفَ انْطَلَقْتُ بِلَا وَدَاعٍ فَالْصَّغَارُ يُولُولُونَ ،

يَتَرَاكُضُونَ عَلَى الطَّرِيقِ وَيَفْزَعُونَ فَيَرْجِعُونَ

وَيُسَائِلُونَ اللَّيْلَ عَنْكَ وَهُمْ لِعُودِكَ فِي انْتِظَارِ ؟

الباب تقررعه الرياح لعل روحاً منك زار
هذا الغريب !! هو ابنك السهران يحرقه الحنين .
أمّا أهّ لئيتك ترجعين
شَبَحاً . وكيف أخافُ منه وما امّحت رُغمَ السنين
قَسَمَاتُ وَجْهِكَ من خيالي ؟
أين أنتِ ؟ أسمعين
صَرَخَاتِ قلبي وهو يذبحه الحنينُ إلى العراق ؟

* *

*

الباب تقررعه الرياح تهبُّ من أبَدِ الفراق :

لندن ١٣ - ٣ - ٦٣

مِنْ لِيَاكِي السُّهَّارِ

١- لَيْلَةٌ فِي لَنْدُنْ

كَمْ يَنْسِلُ نُورٌ خَائِفٌ مِنْ فُرْجَةِ الْبَابِ
فِي الظُّلُمَاءِ فِي غُرْفِهِ
سَمِعْتُ هَتَافَهُ الْمَجْرُوحَ يَعْبُرُ نَحْوِي الشَّرْفَةَ
يَرْفَعُ مِنْ سَمَاوَةِ لَنْدُنَ اللَّيْلَ الْمَطِيلَ بِلَوْنِهِ الْكَأَبِي
عَلَى الطَّرِيقَاتِ تَرْقُدُ فِي دُثَارِ الثَّلَجِ مَلْتَفَةً .
وَأَمْسٍ سَمِعْتُ فِي آيْرَانَ صَوْتَ الدِّيكِ فِي الْفَجْرِ ،
وَمِنْ أَفْئُقِ الْمَنَاطِرِ فِي الْكُوَيْتِ وَزُرْقَةِ الْبَحْرِ
هَابَ ، فَرَشَ جَفْنِي بِالنُّعَاسِ (رَنِينَ أَكْوَابِ
بِنَاءِ الْبَصْرَةِ الرَّقْرَاقِ تُمَلِّثُ تَسْقِينِي) ،
نَدَاءُ رَاحٍ يَنْثَرُهُ الْمُؤَذِّنُ .. : أَطْفِئِ الْفَانُوسَ ، رَفِّضْ ضِيَآؤَهُ رَفِّهِ
وَبَعَثْهُ الظَّلَامَ .
وَلَيْلِي الْآوَاهُ فِي بَيْرُوتَ يُحْيِينِي

لأُبصرَ فيه وجهَ الموت ، راح يُذيبُه نبعٌ من اللّهُفه
تدفّقَ من فؤاد البُلْبُلِ المسكوبِ بينَ غصونِ كَبْلَابِ
ليالٍ من عذابٍ ، من سقامٍ ، لستُ أنساها :
غريباً كنتُ حتّى حينَ أحلمُ ، لستُ في جيُكُورِ
ولا بغداد ، أمشي في صحارى قلبي المسعور
يُريدُ الماءَ فيها : « ماءٌ ... أين الماء ؟ » وهي تُريه أفواها
على آفاقها الرّبداءَ ظمأى تشرب الدّيجُور
فلا تروى . أأقضي العُمُرَ في صحراء ، في ليلٍ من العَطَشِ ؟
أفتشُ عن عيون الماء ، عن إشراقة الغَبَشِ ؟
كاعمى نال منه السُّكْرُ صاح ، ورُفِرتُ كَفّاهُ بين مساند الماخور
ليبحثَ عن رفيقٍ : « أين جاري ؟ أين داري ؟ أين - أوّاها -
أميرتي التي كانت تناولني كؤوسَ النور

فنبصرُ قلبي الدنيا ويلقاها ؟ »

كَانَ الصُّبْحَ أَشْرَقَ فِي الْعِرَاقِ ، وَتَعْبَرُ الرُّؤْيَا
بِحَارِ آبِي وَتَطْوِي أَلْفَ دَرَبٍ فِي الدَّجَى تَاهَا :
تَرَاجَعَ عَالَمٌ وَأُطْلِيَ ثَانٍ : عَالَمٌ يَحْيَا
عَلَى الْأَقْمَارِ تَوَلَّدُ ثُمَّ تَكْمَلُ ثُمَّ تَنْدَثِرُ ،
وَمَا لِبَسِ الْجَدِيدَ بَغَيْرِ يَوْمِ الْعِيدِ ، يَدَّخِرُ
وَيَجْمَعُ ثُمَّ يَنْفِقُ ثُمَّ يَضْحَكُ وَهُوَ يَفْتَخِرُ
بِأَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ حِينَ يَرْزُقُ ... هَكَذَا الدُّنْيَا
شَتَاءٌ ثُمَّ صَيْفٌ . لَيْسَ فِي جَيْكُورٍ مُحْتَكِرٍ
وَلَا فِيهَا مَصَارِفُ أَوْ جَرَائِدُ : « لَيْلُ كُورِيَا
يَرَى شَفَقًا مِنَ النِّيرَانِ » .

فالنيران فيها حين تستعرُ
تضيءُ لحي الشيوخ يحدثونَ ، وأعينَ النسوة
تحدقُ في الطعام وترقب الأطفالَ في نشوه .
أعدني يا إله الشرق والصحراء والنخلِ
إلى أيامي الحلوه ،
إلى داري ، إلى غيلانَ أئمه ، إلى أهلي !

لندن ٣ - ٢ - ١٩٦٣

٢- ليلة في باريس

وذهبتِ فأُتسحب الضياء ،
حُستُ بالليل الشتائي الحزين ، وبالبكاء
ينثال كالشلال من أفقٍ تحطّمه الغيوم .
حُستُ وخزّ الليل في باريس ، واحتنقَ الهواء
بالقهقهات من البغايا ... آه ! ترتعش النجوم
منها كبثور الثريات الملطّخ بالدماء
في حانةٍ لمدى السكارى في جوانبها انتضاء .
فَيبقَ منك سوى عبير
يبكي وغيرُ صدى الوداع : « إلى اللقاء ! » .
وتركتِ لي شفقاً من الزّهرات جمّعها إناء
كالأنجم الزرقاء والحمرّاء في أفقٍ به حلم الصغير ،
رجعن لي عمرَ الطفولة : يا محارآ في غدِير

تتقارع الأقداحُ فيه ، ترنُّ أجراسُ كُثَارُ :
خوخ وأعناب ورمان ... وتمتلىءُ الجرار
عند الغروب ؛ هو الخريف ونحن نَسْمُرُ حول نار .
وكمستفيقٍ في العراء
من حلمه : هو شَهْرَ يَار وتلمس الكفُّ الخواء
ذهبَ التُّرابِ ... ورنَّ في اللَّيْلِ النُّباحُ أو العواء ،
عانقتُ كفَّكَ باليدَيْنِ : « إلى اللقاء »
— « إلى اللقاء » !
وذهبتِ فانسحبَ الضياء .

لو صحَّ وعدك يا صديقه ،
لو صحَّ وعدك .. آمِ لا نبعثُ وفيقه

من قبرها ، ولعاد عمري في السنين إلى الراء .
تأتين أنتِ إلى العراقِ ؟

أمد من قلبي طريقه
فامشي عليه . كأنما هبطت عليه من السماء
عشتار فانفجر الربيع لها وبرعت الغصون :
توت ودفلى والنخيل بطلعه عقب الهواء ،
وهو الأصيل وتلك دجلة
والنواقي الخفاف يرددون :

« ياليتني نجمُ الصباح
آهٍ لَأَسْقَطَ يا حبيبي ، إذ تنام ، على الغطاء ،
أعتلُّ بالبرد : ارتجفتُ فلفني ، برَدَ الهواء ! »
وهو الأصيل وأنتِ في جيکورَ تجتذب الرياحُ

منك العباءة ، فاخلعها ...

ليس يدثر الضياء !

يتماوج البَلَمُ^(١) النخيلُ بنا ، فتنتثرُ النجوم
من رقة المجداف كالأسماك تغطس أو تعوم ،
ويحار بين الضفتين بنا كأننا منه في أبد الزمان :
زمن ولا ماضٍ يعود له ، ولا غدٌ كي يسير
إليه . تنطفئ النجوم ونحن نحن العاشقان .

وذهبتِ فانسحب الضياء ،

لم يبق منك سوى عبير

يبكي وغير صدى الوداع : « إلى اللقاء ! »

وتركت لي شفقاً من الزهرات جمعها إناء ...

باريس ١٨ - ٣ - ٦٣

١ - البلم : زورق البصرة ذو الشكل الشبيه ، إلى حد ما ، بجندول (البندقية) .

٣- لَيْلَةٌ فِي الْعِرَاقِ

وَنُهِبَ كُلُّ أَلَوَاحِ الزُّجَاجِ الزُّرْقِ فِي الظُّلُمَاءِ
فَنُورٌ غَرُبْتُ ، إِيْمَاضُ بَرْقٍ ثُمَّ رَشٌّ مَدَارِجَ الْأُفُقِ
نُتَارٌ مِنْ حُطَامِ الرَّعْدِ فَارْتَعَشَتْ لَهُ الْأَصْدَاءُ .
وَحَفٌّ ، عَلَى الدَّجَى ، غَابٌ مِنَ الْأَمْطَارِ وَالْأَزْهَارِ وَالْوَرَقِ ،
وَكُنْتُ أَصِيحُ مِنْ أَرْقِي
وَمِنْ مَرْضِي : « أُرِيدُ الْمَاءَ ! »
وَتُخْنِقُ صَوْتِي الظُّمَأْنَ وَهُوَ هَةُ الدَّجَى وَالْمَاءُ .
وَيُعْبُولُ مِنْ بَعِيدٍ بَوَقُ سَيَّارِهِ
يَجِيءُ إِلَى عَمْرِاءِ الْمَاءِ فِي الْحَارَةِ ،
يَجِيءُ إِلَى مَنْ أَعْمَاقِ بَحْرِ شَمْسِهِ الْخَضْرَاءِ
تَنْتُ عَلَى شِرَاقِ السَّنْدَبَادِ أَزْهَرَ الشَّفَقِ .
وَكُنْتُ أَصِيحُ مِنْ أَرْقِي

ومن رضى : « أريد الماء ! » .
كأنني وسط هذا الكون حيث يسوطني العطش
نواة حولها ارتجف العصير الحلو في ثمره
ويحرقها صداها .

وانتظرت : سينسل الغبش
صداي ، يُحيلني شجره
تمص الماء ، يقرع في مداها النسغ !

* *

*

وألقى البرق ، أرقص ، ظلّ نافذتي على الغرفة
فذكرني بماضٍ من حياتي كله أَلَمْ :
طفولتي الشقية ، والصبي ، وشبابي المفجوع تضطرم

مث عربي البريئة فيه : كيف يجوع آلاف من الأطفال ملتفّة
آلاف الخُروق تعربد الريح الشتائيّة
بـ وأظلم أحلمُ بالهوى ، والشطُّ والقَمَرُ ؟
وترحم كلَّ دربٍ من دروبي هذه الخوذة الحديدية
وتتبعني عيون الموت من زمر البنادق نزّ بالشرر
كواها ... في دروب الجوع ألث زائغ النظر .
وإذ يتمرّد الأُنسانُ فيّ على العبودية
ثور على الشيوعيّة .
ولكنّ البنادق ما تزال عيونها الغضبيّة
تطاردني لأنّي غير ربّي وحده ، لم أتخذ ربّاً .

* *

*

وحين تنفست عند انحسار الليل عُشتار
تنفضُ جرح تُوزَ المدمى ، تغسل التُّربا
عن الجنبات منه ، وحين هدَّ البغي ثوَّارُ ،
أرحتُ جبينيَ المحموم
على شبَّاك داري أرقب الدُّربا
تدقُّ بالحبال وبالعصيَّ يشدها العار
لتسحبَ أو تمزِّقَ جسمَ طفلٍ ثغره المحروم
من القبلات والغنوات والزادِ
ينادي دون صوتٍ :

« آه يا أمي ! عرفتُ الجوع والآلام والرُّعبا
ولم أعرف من الدنيا سوى أيام أعياد
فتحتُ العين فيها من رقادي لم أجد ثوبا

جديداً أو تقوداً لامعاتٍ تملأ الجيباً
ثَنَّ أبي فقيراً كان .

يا لكِ ثورةً تتأكلُ القلباً
وصرخ . « أيتها الجبناء كفّوا ! »

ثم ترحم دربي الخوذ الحديدية
وتخنقُ من فم التنّور في داري

فألهت في دروب الجوع أطحن من حصاها ثم أعجنه

وأقذفه إلى النارِ

لأطعمَ منه زُغْباً يطلبون الزّاد في قرّ العشيّات الشتائية .

* *

*

ويعضي بالأسى عامان ، ثمَّ يهدّني الدّاءُ ...

تلاقفني الأسرّةُ بين مستشفى ومستشفى
ويعلمكني الحديد .

ومن دمي ملأ الأطباء
قناني ؛ وزّعوني في القناني : تصبغ الصيفا
دمائي والشتاء .

وذاثُ صُبحٍ قيل إن الشرّ قد دُحرا
ودكّ معاقل الطّاغوت في بغدادَ أبطالُ
فقلتُ : سأوقدُ القمرأ
سراجاً عند بابي . إِنَّه ظَفَرِي ! أما قالوا
بأنّ الشرّ قد دُحرا ؟

* *

*

وعدتُ الى بلادي . يا لنقالاتِ إسعافِ
حملن جنازتي !! متمدداً فيها أئن رأيتُ (غيلانا)
يحدقُ ، بانتظاري ، في السماء وغيمها السافي .
وما هو غير أسبوعين ممتلئين أحزانا
ويفجأني النذير بأن أعواماً من الحرمان والفاقة
ترصدني هنا ، في غابة الخوذ الحديدية

* *

*

غريقٌ في عباب الموج تنحبُ عنده الغاقة^(١)
تئن الرياح في سَعَف النخيل ، عليه .. ترثيه .

١ - الغاقة ؛ النورس ، طائر بحري .

قصائده الحزينة بين أوراقٍ من الدفلى أو الصفصاف تبكيه !

البصرة ٨ - ٤ - ١٩٦٣

خَلَّةُ الْبَيْتِ

خَلَا الْبَيْتُ ، لَا خَفَقَةً مِنْ نَعَالٍ
وَلَا كُرُكَرَاتٍ عَلَى السُّلَمِ ،
وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ رِيحُ الشَّمَالِ
وَمَاتَتْ عَلَى كَرَمِهِ الْمَظْلَمُ :
تَلَا شَتَّ خُطْبَى مَوْكَبِ الدَّافِنِينَ
وَمِنْ مَسْجِدِ الْقَرْيَةِ الْمُعْتَمِ
تَوَّيْ ، كَمَا رَفَّ فَوْقَ السَّفِينِ
شَرَاخُ حَزِينٍ ،
ذَانِ (هُوَ اللَّهُ بَاقٍ ، وَزَالِ
عَنِ الْأَرْضِ إِلَّا هُ) : اللَّهُ أَكْبَرُ ؛
وَفِي قَبْرِهِ اهْتَزَّ ، كَالْبَرَعَمِ
ذَا الصَّبْحِ نَوْرُ ،

دفينٌ ... وأصغى : أنينُ الرمال
وتهويدهُ النَّخلُ ينعسُ واللَّيْلُ أقمر .
وفي بيته الآن - خلُّ العويلِ
ونوحُ اليتامى وندبُ النساءِ --
لقد فتَّحَ الآنُ زُهرُ الشتاءِ
ليملاً تنوره بالشذى والضياء ،
أنارَ وجوهاً وأخفى وجوهاً ، فسال الأصيل
ينث سنابله الدافئه ،
وسمراء تصغي إلى الشاي فوق الصَّلاءِ
يوسوس عن خيمةٍ في العراءِ
وعن عيشةٍ هائئه .

*

خَلا الْبَيْتَ وَانْسَلَ لَوْنُ الْمَغِيبِ
فِي الْمَخْدَعِ الْمَقْفَرِ ؛
هَذَا كَانَ يَطْوِي خِيوطَ الدُّرُوبِ
مُغِيرَانِ تَطْفِئُ شَمْسُ الْغُرُوبِ
بِشَعْرِيهَا نَارَ فَنُوسِهَا الْأَحْمَرِ ؛
ذَا مَا ارْتَحَتْ تَحْتَ ظِلِّ الْمَجِيرِ
جَفُونَ يُرْنَقُ فِيهَا النَّعَاسُ
فَاءً إِلَى قِصَّةٍ عَنْ أَمِيرٍ
تَخَطَّفَهُ الْجَنُّ حَتَّى أَتَى مَنْزِلًا مِنْ نُحَاسٍ
تَلَامَحَ شَبَاكَهُ عَنْ أَمِيرِهِ
تَدَلَّى إِلَيْهِ الضَّفِيرُ
لِيَرُقَى إِلَيْهَا .

خلا البيت إلا أنينُ يابقا
يصعدُها شاطئٌ من حنين .

البصرة ٢٦ - ٧ - ١٩٦٤

جيكور وأشجار الحريفة

أشجارها دائمة الخضرة
كأنها أعمدة من رخام
لا عري يعرفوها ولا صفره ،
وليس لها لا ينام
يطلع من أقداحه فجره .

لكن في جيكور
للصيف ألواناً كاللشتاء ،
وتغرب الشمس كأن السماء
حقل يمص الماء ،
أزهاره السكرى غناء الطيور .
ناحلة كالصدي

أنغامه البلور ،
كأنَّ فيها مَدَى
يَجْرُ حنَّ قلبي فيستنزِفُ منه النور .
وتغرب الشمس وهذا المساء
أمطر في جيكور ...
أمطر ظلاً ، نثَّ صمْتاً - مساء
غافٍ على جيكور .

واللَّيْلُ في جيكور
تهمس فيه النجوم
أنغامها ، تولد فيه الزهور
وتخفق الأجنحه

في أعين الأطفال ، في عالمٍ للنَّومِ - مرّت غيوم
بالدرب مبيضاً بنور القمر ،
تكاد أن تمسحه ،
تسرق منه الزَّهْرُ ...

البصرة ٢٢ - ٤ - ١٩٦٣

ها.. ها.. هوه

تتألمين أنت الآن والليل مُقمرُ
أغانيه أنسامُ وراعيه مزهرُ ،
وفي عالم الاحلام ، من كل دَوْحَةٍ
تلقاكِ معبرُ
وبابُ غفا بين الشجيرات أخضرُ .
لقد أثر الصمتُ (الذي كان يُثمرُ
مع الصبحِ بالبوقات أو نوحِ بائعِ) ،
بتينٍ من الذكرى وكرمٍ يقطرُ
على كل شارع
فيحسو ويسكر
برفقٍ فلا يهذي ولا يتنمرُ .

*

رَأَيْتُ الَّذِي لَوْ صَدَقَ الْحُلْمَ نَفْسَهُ
سَلَّكَ الْفَمَا

وَضُوقْ خَصْرًا مِنْكَ وَاحْتَازْ مَعْصَمًا؟
تَقْدَ كُنْتَ شَمْسَهُ

وَشَاءَ احْتِرَاقًا فِيكَ ، فَالْقَلْبُ يُصْهَرُ
فِيَبْدُو ، عَلَى خَدَّيْكَ وَالثَّغْرِ ، أَحْمَرُ
وَفِي لَهْفٍ يَحْسُو وَيَحْسُو فَيَسْكُرُ .

*

لَقَدْ سُمِّ الشُّعْرَ الَّذِي كَانَ يَكْتُبُ
كَامِلًا أَعْمَاقَ السَّمَاءِ الْمَذْنَبُ
فَأَدْمَى وَأَدْمَى :

حرّوب وطوفان ، بيوتٌ تُدمرُ
وما كان فيها من حياةٍ تصدّعا .
لقد سئم الشّعْرَ الذي ليس يذكرُ
فأغلقَ للأوزان باباً وراءه
ولاح له بابٌ من الآسِ أخضر
أراد دخولا منه في عالم الكرى
ليصطاد حلماً بين عينيك يخطر
وهيهات يقدر !

* *

*

من النَّفْسِ ، من ظلماتها ، راح ينبعُ
وينثال نهرٌ سال فاخل مئزر

من النور عن وضاء تحبوا وتظهر .
وفي الضفة الأخرى تحسّن صوته
فما كان يُسمعُ
كما يشعر الأعمى إذ النور يظهر ،
يناديك :

« ها .. ها .. هوه »

ماءٌ ويقطر

من السَّعْفَةِ النَّشْوَى
بما شربتُ من غَيْمَةٍ نَشْأَها نُجْوَى
وأصداء أقدامٍ إلى الله تعبر .

* *

*

ونديتِ : « ها .. ها .. هوه » لم ينشرِ الصدى
جناحيه أويبكِ الهواء المثرثرُ .
ونادي ورددا :
« ها .. ها .. هوه ! »
وفتحتِ جفناً وهو ما زال ينظر ،
ينادي ويجار .

لندن ٢٩ - ٢ - ١٩٦٣

أحببيني .. !

وما من عادي نكرانٍ ماضيٍّ الذي كنا ،
ولكن .. كل من أحببتُ قبلك ما أحبوني
ولا عطفوا عليّ ، عشقتُ سبعاً كنّ أحيانا
تُرفُّ شعورهن عليّ ، تحملني إلى الصينِ
سفائنٌ من عطورٍ نهودهنٍ ، أغوص في بحرٍ من الأوهام والوجدِ
وتتقط الحار أظن فيه الدرّ ، ثم تظلني وحدي
جدائلُ نخلةٍ فرعاء
وبحث بين أكوام الحار ، لعلّ لؤلؤةً ستبرغ منه كالنجمه ،
ويذ تدمي يداي وتُنزع الأظفار عنها ، لا ينزُّ هناك غيرُ الماء
وغير الطين من صَدَفِ الحار ، فتقطر البسمه
عني ثغري دموعاً من قرار القلب تنبثق ،
ننّ جميع من أحببتُ قبلك ما أحبوني .

وأجلسهنَّ في شُرَف الخيال .. وتكشفُ الحرق
ظلالاً عن ملامحهنَّ : آهِ فتلك باعَتني بما فونـ
لأجل المال ، ثم صحا فطلَّقها وخلاها .
وتلك .. لأنها في العمر أكبرُ أم لأنَّ الحُسْنَ أغراها
بأنِّي غير كفءٍ ، خلَّفتني كلِّما شرب الندى ورَقُ
وفتح برعمُ مثَّلتها وشممتُ رِيَّها ؟
وأمسِر رأيتُها في موقفٍ للباصِ تنتظرُ
فباعدتُ الخطى ونأيتُ عنها ؛ لا أريد القربَ منها ،

هذه الشمطاء

لها الويلات ؟ ثم عرفتُها : أحسبتُ أن الحُسْنَ ينتصرُ
على زمن تحطَّم سور بابلَ منه ، والعنقاء
رمادٌ منه لا يُذكِّيه بعث فهو يستعر ؟

وتلك كأنَّ في غمَّازتيها يفتح السَّحَرُ
عيونَ الفُلِّ واللَّبلابِ ، عافتني الى قصر وسيَّاره ،
في زوج تغير منه حالٌ ، فهو في الحاره
فقير يقرأ الصحفَ القديمَةَ عند باب الدار في استحياء ،
يحدُّثها عن الأمس الذي ولَّى فيأكل قلبها الضَّجَرُ .
وتلك وزوجها عبداً مظاهراً ليلها سهر
وخمرٌ أو قمارٌ ثم يوصدُ صُبحها الإغفاء
عن النَّسهر المكرَّك للشرع يرفُّ تحت الشمس والأنداء .
وتلك ؟ وتلك شاعرتي التي كانت لي الدنيا وما فيها ،
شربتُ الشَّعر من أحداقها ونعستُ في أفياء
تنشرها قصائدُها عليَّ : فكلُّ ماضيها
وكلُّ شبابها كان انتظاراً لي على شطِّ يهوم فوقه القمر

وتنفس في حِماه الطَّيْرُ رَشَّ نَعَاسُهَا المَطَرُ
فنبَّهَهَا فطارت تَمَلُّ الآفاقَ بالأصداءِ ناعسةً
تؤجُّ النورُ مرتعشاً قوادِمُها ، وتحفُّقُ في خوافيها
ظلالُ الليل . أين أُصِيلُنَا الصيفي في جيِّكُور ؟
وسار بنا يوسوس زورقُ في مائه البلور ؟
وأقرأ وهي تصغي والربى والنَّخْل والأعْناب تحلم في دواليها ؟
تفرقت الدروب بنا نسير لغير ما رَجَعَهُ ،
وغيبها ظلامُ السجنِ تؤنسُ ليلَها شمعهُ
فتذكرني وتبكي . غير أني لستُ أبكيها .
كفرت بآمة الصحراء
ووحى الأنبياء على تراها في مغاور مكَّةِ أو عند وادِها .
وآخر هنَّ ؟؟

آه .. زوجتي ، قدري . أكان الداء
يتعدني كاني ميت سكران لولاها ؟
وهانا ... كل من أحبتُ قبلك ما أحبوني .
و أنتِ ؟ لعله الإشفاق !!

لست لأعذر الله
إذا ما كان عطفُ منه ، لا الحب ، الذي خلاه يسقيني
كؤوساً من نعيم .

آه ، هاتي الحب ، رويني
به ، نامي على صدري ، أنيمي
على نهديك ، أوأها
من الحرق التي رضعتُ فؤادي ثمةً افترستُ شراييني .
حبيبي

لأنني كل من أحبتُ قبلك لم يحبوني .

باريس ١٩ - ٣ - ١٩٦٣

يقولون تحيا...

لأحببتُ لو أنَّ في القلبُ بقيا
- وقد لفَّه اللَّيْلُ - للمشرقِ ،
يقولون « ما زلتُ تحيا » .. أحييا
كسيحٍ إذا قام أعييا
به الداءُ فانهار ، لم تخفقِ
على الدَّربِ منه الخطى ؟ يا أساه
ويا بؤس عينيه ممَّا يراه ؟

* *

*

يقولون : « تحيا » فيبكي الفؤادُ
فلو لم يكن خافقاً لاستراح ؛
كطيرٍ رميَّ يجرُّ الجناح

وقد مد ، عبر الربى والوهاد ،
بعينه : في دوحه خلف تلك الظلال
سجا عشه ، فيه زغب -جياع
إذا حجب الغيم ضوء الهلال
يقولون « هذا جناح أبينا وقد عاد بعد الصراع
بزهره ،

بقطره
من الطل .. حتى يُطلّ الصباح .
كطير رمي بيجر الجناح ،
أقضي نهاري بغير الأحاديث ، غير المنى ،
وإن عسعس الليل نادى صدى في الرياح :
« أبي .. يا أبي » طاف بي وانتنى ،

« أبي .. يا أبي »
ويجيش في قاع قلبي نواح :
« أبي .. يا أبي » .
« أبي .. يا أبي » في صفير القطار
« أبي .. يا أبي » في صياح الصغار
(خفاف الخطى يعبرون الدروب
بلا غاية ، يقطفون الثمار
ولا يطعمون ابنة جائعه .
ولي منزل في سهول الجنوب
إذا كنت أسعى ، من السابعة
إلى أوبة الطير عند الغروب ،
فكي أطعم الجائعين

وراء نوافذه شاخصين
بن الدرب : « أين الأبُ المُطعمُ »
(أبي .. يا أبي » والدجى مظلم
وجيكور خلف الدجى والدروب وخلف البحار .

لندن ٢٣ - ٢ - ١٩٦٣

وَعَدَلْ سَالِقَاهَا

وَعَدَا سَالِقَاهَا ،
سَاشِدْهَا شَدَّ أَفْتَهْمَسْ بِي
« رَحْمَاكَ » ثُمَّ تَقُولُ عَيْنَاهَا :
« مَزَّقْ نَهْودِي ، ضَمِّ - أَوْ آهَا -
رَدْفِي ... وَاطْوِ بِرَعِشَةِ اللَّهَبِ
ظَهْرِي ، كَانَتْ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ
تَسْرِي عَلَيْهِ بِطَيْبِ رِيَّاهَا » .

وَيَمُوجُ تَحْتَ يَدَيَّ وَيَرْتَجِفُ
بَيْنَ التَّمْنَعِ وَالرِّضَا رَدْفِي ،
وَتَشَبُّ عِنْدَ مَفَارِقِ الشَّعْرِ
نَارٌ تَدْعُدُ غَهَا : هُوَ السَّعَفُ

من قريتي رعشتُ لدى النَّهرِ
خوصاته ؛ وتلين لا تدري
أَيَّان تنقذُ .
ويهمُّ ثغري وهو منخطفُ ،
أعْمى تلمسُ دربه ، يقفُ
ويجسُ : نهذاها
يتراعيان ؛ جوانب الظَّهرِ
تصطكُ ، سوف تبُلُّ بالقطرِ ؛
سأذوب فيها حين ألقاها !

لندن ٢٧ - ٢ - ١٩٦٣

السُّلَّةُ وَوَلَّاح

(إلى زوجتي الوفية)

أَوْصِي الباب ، فدنيا لستِ فيها
ليس تستأهل من عيني نظره .
سوف تمضين وأبقى .. أي حسره ؟
أتمنى لك ألا تعرفيها ؟
آه لو تدرين ما معنى ثوائي في سرير من دم-
ميتَ الساقين محوم الجبين
تاكل الظلماء عيناى ويحسوها في
تائها في واحةٍ خلف جدارٍ من سنين
وأنين
مستطار اللب بين الأنجم .

* *

*

في غدٍ تمضين صفراء اليدِ
لا هوىٍّ أو مغنمٍ ، نحو العراقِ
وتحسّين بأسلاكِ الفراقِ
شائكاتٍ حول سهلٍ أجردِ
مدّها ذاك المدى ، ذاك الخليج
والصحارى والروابي والحدود
أي ريشٍ من دموعٍ أو نشيج
سوف يعطينا جناحين نرود
بهما أفق الدجى أو قبة الصبح البهيج للتلاقى ؟
كل ما يربط فيما بيننا محض حنينٍ واشتياقِ
ربما خالطه بعض النفاق !
آه لو كنتِ ، كما كنتُ ، صريحه

لنفضنا من قرار القلب ما يحشو جروحه
ربما أبصرت بعض الحقد ، بعض السأم
خصلةً من شعر أخرى أو بقايا نغم
زرعتها في حياتي شاعره
لست أهواها كما أهواك يا أغلى دمٍ ساقى دمي .
إنها ذكرى ولكنك غيرى ثائره
من حياةٍ عشتها قبل لقانا
وهوى قبل هوانا .
أو صدى الباب . غداً تطويك عني طائره
غير حبٍ سوف يبقى في دمانا .

الكويت ٢١ - ٨ - ١٩٦٤

نُخْشِيَّةُ بَنَاتِ الْجَنَّةِ

شعورنا بثلثها المطرُ
وأشعلَ القمرُ
فيها فوانيسَ ، فيا قوافلَ الغَجَرِ
شعرنا اهتدي ،
سيرى إلى السَّحَرِ ،
سيرى إلى الغدِ ؟

نحن بنات الجنِّ لا ننامُ ،
نيم في الظلام
على ذرى التلال أو نركضُ في المقابرِ ،
نعشق كلَّ عابر ،
نسمعه أغاني الشباب والغرامِ .
إن نزلتُ صبيَّةً فيها من البشرِ

وأوحشتها وحدة القبور أو دجنة الحفر
سرت أغانينا إليها تعبر التراب
تقول : « إن عريت فالثياب
تنسجها عناكب الشجر
وكل خيط من خيوطها يرن كالوتر .
نامي إلى أن يؤذن القدر
ويحشر الموتى إلى الحساب .
حبيبك الوفي مس ثغره ابتسام ،
فقد رأى سواك .

بل رآك في قوامها الندي كالزهر
وهديها ومقلتيها . أشعل الهيام
في عينه السهر ،

رَاكِ فِيهَا فَاشْتَهَاكِ . لَيْتَهُ اِنْتَظَرَ ؟ »

* *

*

نُلُوحٌ لِلطُّفْلِ فِرَاشَاتٍ مِنَ الشُّعَاعِ
تَخْفِقُ فِي ذَوَائِبِ الشَّجَرِ ،
وَيُلَمِّحُ الْعَاشِقُ فِي عَيُونِنَا الْوَدَاعِ
اِذَا يَصْفَرُ الْقَطَارُ اَوْ يَصْفِقُ الشُّرَاعُ .

وَنَحْنُ لِلشَّاعِرِ اِنْ شَعَرَ
نُلُوحٌ فِي الدُّخَانِ وَالْعَقَارِ ،
نُنْشِدُ : « فُلُوكُ سُنْدِبَادَ ضَلَّ فِي الْبَحْرِ »
حَتَّى أَتَى جَزِيرَةً يَهْمِسُ فِي شَطَائِنِهَا الْحَارِ ،
يَهْمِسُ عَنْ مَلِكَةٍ يُحِبُّهَا الْقَمَرُ

فلا يغيب عن سماء دارها النُّصار .
فيهِتف الشاعر : « خُذْنِي إِلَى حَماها
لأنني اهوأها
لأنني القمر ؟ »
وجن وانتحر .

* *
*

شعورنا بللها المطرُ ،
ويرشف التمر
منها إلى ان يُقبل السَّحَرُ .
نركض في المقابر
نُضلُّ كلَّ شاعر
وكلَّ من عبر ؟

لندن ٢٦ - ٢ - ١٩٦٣

جيت گور لئي^(۱)

تسك أمي ، وإن أجثها كسيحا
ذئب ازهارها والماء فيها ، والترابا
و: نضاً ، بمقلتي ، اعشاشها والغابا :

تسك أطيّار الغد الزرقاء والغبراء يعبرن السطوحا
وينشرن في بويب^(۲) الجناحين : كزهر يفتّح الأفوافا .
ه هنا ، عند الضحى ، كان اللقاء
و: انت الشمس على شفاهها تكسر الأطيافا
وينزع الضياء .

نبت أمشي ، أجوب تلك الدروب الخضر فيها وأطرق الأبوابا ؟
عب الماء فتأتيني من الفخار جره
نزع الظل البرود الحلو ... قطره
ه نضره .

تمتدُّ بالجرّة لي يدان تنشران حول رأسي الأطيابا :
(هالتي) تلك . ام (وفيقة) ام (إقبال) .

لم يبق لي سوى اسماء

من هوى مرّ كرعدٍ في سمائي
دون ماء .

كيف أمشي ! خطاي مزقها الداء .. كأنني عمود ملح يسير ..
أهي عامورة الغويّة ام سادوم ؟
هيهات .. إنها جيكور :

جنةٌ كان الصبى فيها وضاعت حين ضاعا .
آه لو انّ السنين السود قَمَحُ أو صخورُ
فوق ظهري حملتُهنَّ ، لألقيتُ بحملي فنفضتُ جيكورُ
عن شجيراتها تراباً يغشّيها وعانقتُ معز في ملتاعا ،

يُجهش الحبّ ، به ، لحناً فلحننا
ولقاءً فوداعاً .

آه لو أن السنين الخُضرُ عادت ، يوم كُنّا
لم نزل بعدُ فتَيَّينَ لِقَبَلْتُ ثُلَاثًا أو رُبَاعًا
وجنّتي (هَالَة) والشَّعرُ الذي نَشَرَّ أمواج الظلامِ
في سيولٍ من العطور التي تحمل نفسي إلى بحارٍ عميقه
ولقَبَلْتُ ، برغم الموت ، ثغراً من وفيقه
ولأوصلتُك يا (إقبال) في ليلة رعدٍ ورياح وقتامٍ ،
حاملًا فانوسيَ الخفّاق تمتد الظلال
منه أو تقصر ، إذ يرعش في ذاك السكون ،
ذلك الصمتِ سوى قَعْقَعَةِ الرعد ،
سوى خفق الخطى بين التلال

وحفيف الريح في ثوبك ، او وهوة الليل مشى بين الغصون ،
ولعانقتك عند الباب ، ما أقسى الوداع !!
آه .. لكن الصبي وتلى وضاع ؛
الصبي والزمان لن يرجعا بعد ،
فقرّري يا ذكريات ونامي .

لندن ٥ - ٢ - ١٩٦٣

١ - اذا كان ٣ (فاعلاتن مستعملن فاعلاتن) = ٣ فاعلاتن ، ٣ مستعملن ، ٣ فاعلاتن مشلا
فان الفرضية التي تقوم هذه القصيدة ، موسيقياً ، عليها صحيحة . أرجو أن تتاح الفرصة لتجربة
هذه الفرضية على جهاز الأصوات الذي سبق للدكتور محمد مندور أن قام ببعض التجارب عليه
في باريس . غير أنني لم ألتزم بذلك الا في الأجزاء الاولى من القصيدة .
٢ - نهر في جيڪور .

يا غربة الروح

يا غربة الروح في دنيا من الحجر
والثلج والقار والفولاذ والضجر،
يا غربة الروح .. لا شمس فأتلق
فيها ولا أفق
يطير فيه خيالي ساعة السحر .
نار تضيء الخواء البرد ، تحترق
فيها المسافات ، تدنيني ، بلا سفر ،
من نخل جيکور أجني داني الثمر .
نار بلا سمر
إلا أحاديث من ماضي تندفق
كأنهن حفيف منه أخيلة
في السمع باقية تبكي بلا شجر .

يا غربة الروح في دنيا من الحجر !

* *

*

مسدودة كل آفاقي بأُبنيةٍ
سودٍ ، وكانت سمائي يلهث البَصْرُ
في شطّها مثل طيرٍ هدّه السَفَرُ :
النهرُ والشفَقُ
يميلُ فيه شراعُ يرجفُ الأَلَقُ
في خَفَقِهِ ، وهو يحثو ، كلما ارتعشا ،
دنيا فوانيسَ في الشَطَطَيْنِ تحترقُ ،
فراشةً بعد أخرى تنشرُ الغَبَشَا
فوق الجناحين .. حتّى يلهث النّظَرُ .

* *

*

الحُبُّ كَانَ انْخِطَافَ الرُّوحِ نَاجَاها
رُوحٌ سِوَاها ، لَهُ مِنْ لَمَسَةٍ بَيِّدِ
دُخِيرَةٌ مِنْ كُنُوزِ دُونِنَا عَدَدِ .
الحُبُّ لَيْسَ انْسِحَاقًا فِي رُحَى الْجَسَدِ
وَلَا عِشَاءً وَخَمْرًا مِنْ حُمَيَّاها
تَلْتَفُّ سَاقٌ بِسَاقٍ وَهِيَ خَادِرَةٌ
تَحْتَ الْمَوَائِدِ تُخْفِي نَشْوَةَ الْبَشَرِ
عَنْ نَشْوَةِ اللَّهِ مِنْ هَمْسٍ وَمِنْ سَمَرِ
فِي خَيْمَةِ الْقَمَرِ .
يَا غَرَبَةَ الرُّوحِ لَا رُوحَ فَتَهْوَاها .

* *

*

لولا الخيالات من ماضي تنسربُ
كأنها النوم مغسولاً به التعبُ
لم يترك الضجرُ
مني ابتساماً لزوجٍ سوف ألقاها
ان عدتُ من غربة المنفى : هو السحرُ
والحلم كالطلُّ مبتلاً به الزهرُ
يمس جفنين من نورٍ وينسكبُ
في الروح أفرحها حيناً وأشجاها .
تسللت طرقتي للباب تقتربُ
من و عيها وهو يغفو ثم تنسحبُ ،
ونشر الحلم أستاراً فأخفاها .
ورف جفناها

حتى كأنَّ يدي
إذ تطرق الباب مسَّتْ منهما : « واها !
من دقَّ بابي ؟ أهذا أنت يا كبدي ؟ »
وذاب في قبلي ما خلف السَّهر
في عيناها من نَعاس ، فهي تزدهر
كوردةٍ فتحت للفجر عيناها .

لندن ٢٦ - ٢ - ١٩٦٣

أشربُ كلَّ يومٍ والذكرى

وأشربُ صَوْتَهَا .. فيغوص من روعي إلى القاعِ
ويشعل بين أضلاعي
غناءً من لسان النار ، يهتف « سوف أنساها
وأنسى نكبتني بجفائها وتذوب أوجاعي » .
وأشرب صوتها .. فكان ماء بُيُوبٍ يسقيني
وأسمع من وراء كرومه ورياه « ها .. ها .. ها »
ترددها الصبايا السمر من حينٍ إلى حين .
وأشربُ صوتها فكان زورق زَفَقٍ وأنينَ مزمارة
تجاوبه الدرابكُ ، يعبران الروح في شَفَقٍ من النار
يلوح عليه ظلٌ وفيقة الفرعاء أسود يزفر الآها
سحائب من عطورٍ ، من لحونٍ دون أوتار .
وأشرب صوتها .. فيظل يرسم في خيالي صفاً أشجار

أغازل تحتها عذراء ؛ أوّاها
 على أيامي الخضراء بعثرها وواراها
 زواج . ليت لحن العرس كان غناء حفارٍ
 وقرعاً للمعاولِ وهي تحفر قبوريّ المركوم منه القاع بالطينِ .
 وأذكرها ، وكيف (وجسمها أبقى على جسمي
 عبيراً منه ، دفناً غلّف الأضلاع) أنساها ؟
 أنساها ؟ أنسى ضحكة رعشت على لحمي
 وأعصابي ، وكفّاً مسحت وجهي بريّاها ؟
 قساة كل من لاقيت : لا زوج ولا ولد
 ولا خل ولا أب أو أخ فيزيل من همّي ..
 ولكن .. ما تبقى بعد من عمري ؟ - وما الأبد ..
 بعمرى -
 أشهر ويرمحيني موت فأنساها .

لندن ٩ - ٣ - ١٩٦٣

كيف لم أحبك ؟

كيف ضيَّعتُك في زحمة أيامي الطويلة ؟
لم أحلَّ الثوبَ عن نهديكِ في ليلة صيفٍ مُقْمَره ؟ !
- يا عبير التوت من طوقيهما .. مرَّغتُ وجهي في خميله
من شذى العذراء في نهديك -

ضيَّعتُك ، آهٍ يا جميله !

انه ذنبي الذي لن أغفره !
كيف لم أحبكِ ؟! يا لهفة ما بعد الأوان
في فؤادٍ لم تكوني فيه إلاَّ جذوةً في بجمره !
شعرك الأشر شعَّ اليوم شمساً في جناني
يتراءى تحتها ساقاكِ ، يا للزنبقِ
رفٍّ من ساقيكِ !!
آهٍ كيف ضيَّعتُك يا سرحةً خوَّخَ مُزهره ؟

آه لو عندي بساط الريح !!
لو عندي الحصان الطائر !!
آه لو رجلاي كالامس تطيقان المسيرا !
لطويت الأرض بحثاً عنك .
لكن الجسورا
قطعتها بيننا الأقدار . مات الشاعر
في وانسدت كوى الأحلام .

آه يا جميله !

البصرة ٨ - ١١ - ٦٣

السير القراصنة

أجنحةٌ في دوحةٍ تحفُّقُ
أجنحةٌ أربعةٌ تحفُّقُ
وأنتَ لا حبٌّ ولا دارُ ،
يسلمك المشرقُ
إلى مغيبٍ ماتت النارُ
في ظلِّه ... والدربُ دوارُ
أبوابه صامتهٌ تغلقُ !

جيكور في عينيك أنوار
خافقةٌ تهمس :
« مات الصبي ! »
لم تبق آثارُ

من فجره ، وانفرط المجلس ،
فالتلُّ لا ساقٍ ولا سامرٌ باقٍ وسَمَّارٌ :
وارأهمُ في سفحه الموحش المهجور حفَّار !

وتحسدُ الشحَّاذ إن لاحا
يمشي على عكَّازهِ البالي .
مشلولَةٌ رجلاكِ مشدودةٌ عيناكِ بالآلِ
وألفِ دربٍ دونكِ انداحا
يدعوكِ أن تقطعه في الدجى
وتقطفِ الأثَّار عن جانبيه
وأنتِ لا تملكِ غير الشَّجى
ودمعةٍ تجري اشتياقاً إليه .

عامان من نزعِ بلا موتِ
وأنت ما كنتِ سوى صوتِ ،
صوتِ يدويٍّ في قلاعِ الرياحِ .
يا ليتك المشاء في صمتِ
لا عازف القيثارة باسم الجراح ؟
وأنتَ في سفينة القرصانِ
عبدٌ أسيرٌ دون أصفادِ
تقبع في خوفٍ وإخلاقِ
تصغي إلى صوت الوغى والطعان :
سال الدم ،
اندقت رقابٌ ومال
ربّانها العملاقُ

وقام ثنٍ بعده ثم زال
فامتدَّت الأعناق
لايَّ قرصانٍ سيأتي سواه
وأَيَّ قرصانٍ ستعلو يداه
حيناً على الأيدي ! ؟

« وليأتِ من بعدي ...
من بعدي الطوفان »
تسمعُها تأتيك من بُعدٍ
يحملها الإعصارَ عبْرَ الزَّمان !

البصرة ٢٩ - ١٠ - ١٩٦٣

نسيم من القبر..

نسيمُ اللَّيْلِ كالآهات من جيـكـورَ يأتيني
فبيـكـيني

بما نفثته أُمِّي فيه من وجدٍ وأشواقِـ
تنفّسَ قَبْرُها المهجور عنها ، قَبْرُها الباقي
على الأَيَّامِ يهـمس بي : « ترابٌ في شراييني
ودودٌ حيث كان دمي ، وأعراقِي
هباءٌ من خيوطِ العنكبوت ؛ وأدمعُ الموتى
إذا ادّكروا خطايا في ظلام الموت ... ترويني .
مضى أبـدٌ وما لحتك عيني ! »

- ليت لي صَوْتَا

كنفخِ الصُّورِ يسمع وقعَه الموتى . هو المرضُ
تفكّك منه جسمي وانحنت ساقِي

فما أمشي ، ولم أهجركِ . إني أعشق الموت
لأنك منه بعض ؛ أنت ماضي الذي يمض
إذا ما أربدت الآفاق في يومي فيهديني !

* *

*

أما رنّ الصدى في قبركِ المنهار ، من دهليز مستشفى ،
صداي ، أصبح من غيبوبة التخدير ، أنتفض
على ومض المشارط حين سفت من دمي سفا
ومن لحمي ؟ أما رنّ الصدى في قبركِ المنهار ؟
وكم ناديت في أيام سُهدي أو لياليه :
« أيا أمسي ، تعالي فالمسي ساقٍ واشفيني » .
يثن الثلج والغربان تنعب من طوى فيه ،

وبين سريري المبتل حتى القاع بالأمطار
وقبرك ، تهدر الأنهار
وتصطخب البحار الى القرار يخضها الأعصار .

* *

*

اما حملت إليك الريح عبر سكينه الليل
بكاء حفيدتيك من الطوى وحفيدك الجوعان ؟
لقد جعنا وفي صمت حملنا الجوع والحرمان ،
وبهتك سرنا الأطفال ينتحبون من ويل .
أفي الوطن الذي آواك جوع ؟ أيا أحزان
تورق أعين الأموات ؟
لا ظلم ولا جور

عيونهما زجاجٌ للنوافذ يُخنقُ الألوان .
 هناك لكل ميتٍ منزلٌ بالصمتِ مستورٌ ،
 ولكنّا هنا عصفت بنا الأقدارُ من ظلٍ
 الى ظلٍ ومن شمسٍ الى شمسٍ : يغيب النورُ
 على شرفات بيتٍ ضاحكاتٍ ثم يشرق وهي أطلالُ
 ويخفقُ حيث كر كر أمسٍ أطفالُ
 صريرٌ للجنادب هامساتٍ : « إنه المقدور
 تصدع برج بابل منه وانهدمت صخور السور ! »

* *

*

أما حملتُ إليكِ الريحُ عبْرَ سَكِينَةِ اللَّيْلِ
 بكاءَ حفيدتيكِ من الطوى يعلو من السَّهْلِ ؟

البصرة ١٨ - ٤ - ١٩٦٣

فِي الْمَسْتَسْقَى

كَمَسْتُ حَدِيدَ أَعْزَلٍ فِي الشِّتَاءِ
وَقَدْ أَوْغَلَ اللَّيْلُ فِي نَصْفِهِ ،
أَفَاقَ فَأَوْقَظَ عَيْنَ الضِّيَاءِ
وَقَدْ خَافَ مِنْ حَتْفِهِ ،
أَفَاقَ عَلَى ضَرْبَةٍ فِي الْجِدَارِ -
هُوَ الْمَوْتُ جَاءَ !
وَأَصْغَى : أَذَاكَ انْهِيَارَ الْحِجَارِ
أَمْ الْمَوْتُ يَحْسُو كُؤُوسَ الْهَوَاءِ ؟
لِصُوصٍ يَشْقُونَ دَرْباً إِلَيْهِ
مَضُوا يَنْقُبُونَ الْجِدَارَ .
وَوَظِلَّ يَعِدُ انْهِيَارَ التُّرَابِ
وَوُوقَعَ الْفُؤُوسُ عَلَى مَسْمَعِيهِ .

يكاد يُحسُّ التماعَ الحِراب
وحزَّاتها فيه ... يا للْعذاب !
وما عنده غير محض انتظار :
هو الموتَ عبْرَ الجدار !

* *
*

كذاك انكفأتُ أعضُّ الوسادُ
وأسلمتُ للمشْرِطِ القارسِ
قفاي المدمى بلا حارس .
- بغيرِ اختياري ، طيبِّي أرادُ ! -
لقد قصَّ .. مدَّ المجسَّ الطويلُ ...
لقد جرَّه الآن . أوَّاه .. عاد .

ولا شيءَ غيرُ انتظارٍ ثَقِيلٍ .
ألا فاحرقوا ، يا لصوص ، الجدار
فهيّات ، هيّات ، مالي فرار !

لندن ٥ - ٢ - ٦٣

سكوى

ظلامُ الليلِ أوتارُ
يدُندنُ صوتُكُ الوسنانِ فيها وهي ترتجفُ ،
يرجعُ همسُها السَّعَفُ
وترتعثُ النجومُ على صدها : يرنُ قيثارُ
بأعماقِ السماء . ظلامُ هذا الليلِ أوتارُ !

*

وكم عبر الخليجَ إلىَّ والأنهارَ والترعا ،
يدغدغُ بيضُ أشعةٍ يهيم وراءها القمرُ
وينشج بينها المطرُ ؛
وأوغلَ في شعابِ البرقِ ، يرجفُ كلما لمعا
ليحملَ من قرارة قلبكِ الآلامَ والفرعا .

*

أشْمُ عَيْرَكَ اللَّيْلِيَّ فِي نَبْرَاتِكَ الْكَسْلَى
يُنَادِينِي وَيَدْعُونِي
إِلَى نَهْدِينَ يَرْتَعِشَانِ تَحْتَ يَدَيَّ وَقَدْ حَلَا
عُرَى الْأَزْرَارِ مِنْ ذَاكَ الْقَمِيصِ ، وَيَمْلَأُ اللَّيْلَا
مِشَاعِلَ فِي زَوَارِقَ ، فِي عِرَائِشَ ، فِي بَسَاتِينَ .

*

شَذَى اللَّيْمُونَ يَصْرَعُ كُلَّ ظِلٍّ فِي دَوَالِيهَا .
أَرَاكَ عَلَى السَّرِيرِ وَأَنْتَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرِ :
يَكَادُ النِّجْمُ فِي الشَّبَّاءِ وَالْمَصْبَاحُ فِي الْخَيْدِ .
يَمْسُهَا النِّعَاسُ ، وَأَنْتَ زَنْبَقَةٌ حَوَاشِيهَا
يَنْبُهَا هُتَافُ الدِّيَكِ يَعْبُرُ ضَفَّةَ النِّهْرِ .

*

ويهمس بي صدى : « سلوى
تغني » . كلُّ سلوى في خيالي تكشف الأضواء عنها وهي تبسم :
صديقة كلِّ فحلٍّ من سدوم ، في يدِ قَلَمٍ
يسطرُّ في الجريدة أنها تهوى ولا تهوى ،
هي امرأتان في امرأة ... ويسرب في دمي ضرم

*

وجارُتنا الصبيّةُ في حريرِ النَّوْمِ تنسربُ ،
يشف الثَّوب عن نهدين طوديين كم رجفا
من الأحلام تحت يدٍ تعصر بردها لَهَبُ .
لها من فورة العذراء عطرٌ يرتخي ، يشبُ ،
يمازج نفحَ ما نفحَ الحشيش ، يسيل مرتجفا .

*

والمحُ في سماء الصيف عَبْرَ تماوجِ الشجرِ
سماوةً لندنَ المنهلِ فيها الثلجُ كالطر ،
ونافذةً تعلّقَ في الظلام زجاجها الأليقُ ،
ومدفاةً وراء الليل تحترقُ ،
وأسمع من يحدث عن هوى سلوى ويرقبُ طلعةَ السّحرِ :

*

« وأشعلتِ الظهيرةُ ناراها في الشارع الممتدّ بين حدائق النارنج والعنّابِ
وأصدتُ في رحاب المنزل الخالي
خطى سلوى ، وأرخيتُ الستائر ... يا لشلالٍ
من الألوان والخدَر البرود .
ومسّها لهبي

فارُعشَ كلَّ عَرَقٍ في صِباها ، كلَّ ما عَصَبَ

* *

*

ويزرع ألفَ غابٍ للنخيلِ غناؤكِ المكسالُ
ترقرقتِ الجداولُ بينهنَّ وأزهرَ اللَّيْمونُ ...
وأنسامُ الربيعِ تمرُ تنثرُ زَهْرَهُ في مائها السُّلسالُ
كما حَمَلَ الوجوهَ إلى ماءِ غنائكِ المكسالُ
ويحملني النعاسُ إلى جزائرَ في مدىَّ محزون !

البصرة ٩ - ٩ - ١٩٦٣

سَمَى نَدَسِي ؟

أَلَا يَأْكُلُ الرَّعْبُ مَنَا الضُّلُوعُ
إِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَى ظِلِّ تَيْنِهِ ،
فَلَا حَتُّ لَنَا ، مِنْ ظِلَامٍ ، قُلُوع
تَهْدُهُ غَمَامَاتُ حَزِينِهِ ؟
أَلَا يَأْكُلُ الرَّعْبُ مَنَا الضُّلُوعُ ؟
أَلَا تَتَحَجَّرُ مَنَا الْعَيُونُ
إِذَا لَاحَ فِي اللَّيْلِ ظِلُّ الْبُيُوتِ
هَزِيلًا كَمَا يَنْسُجُ الْعَنْكَبُوتُ
أَلَا تَتَحَجَّرُ مَنَا الْعَيُونُ
وَيَلْمَعُ فِيهَا بَرِيقُ الْجُنُونِ ؟
وَبِالْأَمْسِ كُنَّا يُذِيبُ الْعُنَاقُ

دماً في دمٍ ،
كنورٍ ونارٍ ، سناً واحتراق
يجولان في منزلٍ مظلم

ولكنَّ ما بيننا كان بحرٌ
تغنيك أمواجه العاتية:
« سُرْعَاكَ مِنْ قَلْعَةٍ شَدَّ مِنْهَا حَدِيدٌ وَصَخْرٌ
فَمَا الْحَبُّ هَدَمَ لَجْدِرَانِكَ الْعَالِيَهُ » .
ولكنَّ ما بيننا كان بحرٌ

وصحراء تنشجُ فيها النجومُ
ولا نلتقي في دجىٍّ أو صباحٍ ،

تموت على رملها عاصفاتُ الرياح
وتأكل عَيْنَ الدليلِ التَّخومَ
وصحراءُ تنشجُ فيها النجوم

وطارتُ بي الريحُ عبْرَ البحارِ
إلى الليلِ والثلجِ والمجهلِ ،
فصرنا إلى واقعٍ لا نحار
بالغازه . فاسألني :

– وطارت بي الريحُ عبْرَ البحارِ –
« أما من لقاءٍ لنا في الزمان ؟ »
بلى .. حينما تفهمين اللقاء

فياوي إلى اللّوْحَةِ المُفْرَقانِ
يشدّ أنّها ، يرفعان الدعاء :
« ألا نَجِّنْنا يا إله السّماء ! »

ألا يأكل الرعبُ منّا الضلوع
إذا ما نظرنا إلى ظلِّ تينهِ
فلاحت لنا ، من ظلام ، قلوب
تهدهدها غمغاتُ حزينهِ ؟
ألا يأكل الرعبُ منّا الضلوع ؟

لندن ١٠ - ٣ - ١٩٦٣

فهرست

صفحة	معد	
٦٤	٥	شناشيل ابنة حي
٦٨	٥	إرام ذات عم
٧٠	١٩	في اللبر
٧٣	٢٥	في انتظار رسة
٧٧	٢٦	الباب تفرعه روح
٨١		من ليتي السهاد
٨٦	٣١	١ - بية في سدا
٨٨	٣٥	٢ - بية في مريس
٩٠	٣٩	٣ - بية في نعراد
٩٤	٤١	خلا نيت
٩٨	٤١	جيكور ونحدر بية
١٠١	٤٥	ها... ها... هره
١٠٦	٤٩	أحبتي

